

ديوان

فجع الوسط الثقافي في اليمن والوطن العربي برحيل الشاعر الكبير محمد حسين هيثم في فجر يوم الجمعة الموافق ٢ مارس ٢٠٠٧. وقد نعاه أصدقائه وزملاؤه وقراؤه الذين أحنهم غيابه المبكر. واذا تفتقده «غيما»، وهو الذي كان عضواً في هيئتها الإستشارية وشاهداً على ولادة عددها الأول، فإنها تقدم للقراء هذه النصوص المختارة من شعره.

## نصوص مختارة

محمد حسين هيثم

### عراء المكاربة

نازلاً

أرتقي مهباتهم

هذه الدكنة غرامهم بالملك

هذه الحصاة شهوتهم البيضاء

يتنزّلون من الحبائل

بأعناق مبرومة

وذبول تتسوّق

كأن شرطبهم

يبكر بالملوك إلى نقائنا

كأن الديكة تعولهم ببداهتها

كأن الزقاق المدعوك

- عند الكامبة الحافية الرأس

حيث ترفع الدكاكين تتوراتها -

يلوي صرخاتهم

ويمتحن طبولهم بخيام رجراجة



يصعدون إلى بارحتهم بأشباع ومكوس  
 بأثيوبيات وهنود وبغال  
 برؤوس مفلجة ودم باذخ  
 بقردة وطواويس  
 نعيهم بياض مساءتنا النازلة بعد كأسين وصهيل  
 ونعيدهم  
 إلى  
 بهجتنا:  
 مكاربةً  
 مكاربةً من مرايانا وظلالنا  
 من نطف التباساتنا الرنانة  
 مكاربةً بأرجوان وقيافات أعلى من حذاقتنا  
 مكاربةً بمدائح فولاذية ونعاس مصقول  
 مكاربةً يدخلون إلى نومنا  
 بحلوى وشقراوات  
 مكاربةً من رسو يقظتنا عند صباح استثنائي  
 مكاربةً لأسبابنا كلها ولرعاياها المنسيين  
 لدواخلنا الكستائية الطافحة بالجياد  
 مكاربةً بالخيزران والتبن  
 يتوجوننا على الجروف الهائلة  
 ويحصنون أقفيتهم من أحذية جوعنا  
 مكاربةً لجنادب تسوق حقل السبطانات إلى قنوطنا  
 مكاربةً لنا  
 مكاربةً علينا  
 على هشيم يقظتنا  
 على وضوحنا القارس  
 العمى  
 على تشظي البوصلة المطفأة  
 ....  
 ....  
 ....

دكنة

حصي

شرطة بيكرون بالملوك إلى نقائنا

طبول بأشباع ومكوس

سفسطة ملء الإبريق

أقداح، مكاربة، وبسكويت

على صفير المائدة

Help yourself

ثمّة خطأ البساتين

يدون المكاربة شوكتهم

على مياه تقترضها الأنهار

من ترتيل أصابعي

ثمّة مخاتلة الجداء

يقلب المكاربة ضحكتي

على براكينهم

ليروا أصواتهم

تتسلق الظلال المدببة

وتلرزق بالسعاة

وعيال الفطنة

ثمّة المكاربة

يوم عطس عراؤهم

ارتدت

السحلية

قبعتها

-على عجل-

لتجلس في أول القيامة.

## غبار السباع (فانتازيا شعبية)

بنو عمي سباع سبعة، شراب دم، حاطبو موت  
بنو عمي جنون واجتياح.

بنو عمي هبوب صاعق، عصف، نار  
بنو عمي استعاروا

من رعود الزهو خيلاً، واستعاروا

من بروق الويل أسيفاً، وساروا

جحفلاً يخط للنسيان دائرة

وللطوفان دائرة

وللقتلى دوائر تُستثار

بنو عمي سباع سبعة...

...

...

بنو عمي رأوه على مشارف ظلهم

رجلاً قليلاً فاستطاروا

بنو عمي رأوه

فداوروه

فسار ملغوماً بهدأته

فثاروا

بنو عمي استداروا

بنو عمي سباع سبعة...

...

بنو عمي استداروا

بنو عمي أغاروا

على رجل قليل، عابر في الظل

فاشتد الأوار

(طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق)

بنو عمب تنادوا في تبعثرهم وشاروا

بنو عمي انسحاباً باسل في العتمة الأولى..

يساوره غبارُ

بنو عمي سباعٌ ستّةٌ شرّابٌ دمٌّ حاطبو موتٍ  
بنو عمي جنونٌ...  
بنو عمي هبوبٌ صاعقٌ، عصفٌ، ونارٌ

بنو عمي استداروا  
مرةً أخرى إلى الرجلِ الكثيرِ  
وحاولوه  
وطاولوه  
في ضحى عارٍ كليلٍ وأغاروا  
(طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق)

بنو عمي استخاروا  
رعبهم واستدبروا وَهَنًا يَرْتَلَهُمْ غِبَارُ  
بنو عمي سباعٌ خمسةٌ شرّابٌ دمٌّ، حاطبو موتٍ  
بنو عمي...

بنو عمي هبوبٌ صاعقٌ، عصفٌ، ونارٌ

بنو عمي استداروا  
واستثاروا  
حزَنهم واستتفروا ثاراتهم يأساً وصالوا  
بل أغاروا

(طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق)

بنو عمي استجاروا  
بالصدى، بالريح، بالرجلِ الكثير، أو تواروا

وأربعةٌ بنو عمي سباعٌ... حاطبو موتٍ  
بنو عمي...

بنو عمي هبوبٌ صاعقٌ، عصفٌ، ونارٌ

بنو عمي دوارٌ

هل أغاروا؟

(طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق)  
بنو عمي فرارُ

بنو عمي ثلاثتهم سباعٌ... حاطبو موتِ  
بنو عمي...

بنو عمي هبوبٌ صاعقٌ... نارُ  
(طراطق طق، طراطق طق، طراطق طق)  
بنو عمي...

بنو عمي...  
بنو عمي سبيعانِ هبوبٌ صاعقٌ... نارُ  
(طراطق طق، طراطق طق)  
بنو عمي...

بنو عمي...  
بنو عمي...  
بنو عمي... سبيعٌ واحدٌ نارُ  
(طراطق طق)

بنو عمي...  
بنو عمي...  
بنو عمي...  
(فوووووو فووووووو)  
بنو عمي غبارُ.

## رجل ذو قبعة ووحيد

منذورٌ لمراوحة صاعقة  
في الجمر الدبق الراجف والمرجف  
مطلولٌ دمه الناصع  
بين دهاليز الرعشة والخفقان.

رجل ذو قبعة ووحيد  
 رجل ذو خَفرٍ  
 يتوارى باستحياءٍ  
 يتسلل في الخلسة  
 يستخفي بين عواميد الرعدة  
 في الطرق الضيقة العارمة الجيشان

رجل ذو قبعة ووحيد  
 تتهدل - من مللٍ وقفته  
 يسترخي في مقعده  
 يغفو  
 ويهب على عجل  
 ليحي امرأةً عابرةً  
 أو ينهض  
 كي تسترخي في مقعده امرأةً أخرى..  
 رجل جنتل مان.

رجل ذو قبعة ووحيد  
 رجل بكرامات وندور وشموع وبخور  
 رجل يحيا فيموت فيحيا  
 رجل تتسقط أخبار قيامته:  
 المرأة ذات الكاذي  
 والأرملة العيلة  
 والعانس من ثقب الغفلة  
 وامرأة القاضي  
 والعافر بنت أب معشار  
 ونساء المفرج  
 والقوادة  
 والناهد في الصف الثامن  
 والطارق من كوتها  
 وأميمة بنت وزير الأقبية المنسية



والبنت الحلوة من منعطف الحي

الثاني

وسبايا خيل الاعمام

وراشيل اللثغى

وحريم الحمام الشرقي

وفاطمة الجبل العالي

والحرة إذ تأكل ثديها

" وديانا الصبرية " بائعة القات

وبياعات الخبز بسوق الملح

وعشتار النجمة

والحبشية حتو

والمهرة ذات الجعد الهندي سويتا

وبنات ملوك الجان.

رجل ذو قبعة ووحيد

رجل ذو ريب

يترصده عسس ووصايا

ومفارز واستحكات وجباه

وشيوخ ربد .. وإذاعات

وغزاة حجريون .. وراجمتان

رجل ذو قبعة ووحيد

رجل ذو حيثيات وبألقاب شتى

تتساءل عنه بنات الغيم

وتستفسر بنت الجيران:

من هذا الواقف محشواً بفداحته

مستوحش بين الأعشاب الليلية

هذا الملتبس الآن علينا بملاسته ووعورته

الشاهق في وقفته

الراعد في طرقتة

المنتفض الولهان

رجل ذو قبعة ووحيد  
 كيف التبتت هيئته ؟  
 وهو الواحد والمستوح  
 لا يشبه أو يشته  
 الناهض في كل هبوب عطري  
 القاهر كل فلاة بكر  
 لا يدركه لوم أو نسيان  
 وهو الجبار الفاتح كل الأسوار  
 الكائن في الأسرار  
 المانح دمعته للأنثى  
 وصفي الليل  
 النابش كل زلازله  
 الفالق فوهى البركان  
 وهو الذاهب والآيب في الوقد  
 الرافع أعمدة الشهد  
 الباتر في الغمد  
 الملك النشوان

رجل ذو قبعة ووحيد  
 رجل متهم  
 ومدان .

### عبد العليم إذا مات

مات عبد العليم  
 وعبد العليم إذا مات  
 في أي وقتٍ  
 يموت بحرفةٍ

ويموت كما يحلم الموتُ أو يشتهي الميتون

يموت كثيراً

كثيراً

يفيض من الموت

يمتد موتاً

من المهد شرقاً

إلى الغرب من يومه المرتقب.

عبد العليم إذا مات

يرتدُّ منصعقاً

لا يصدّق حشد عزاءاته.

كان عبد العليم

يصدّق ربيته وحدها

كان يتبع خطّ توجسه

ويذوّب أيامه في الظلال

ويمشي وحيداً

وإن صادفته المدينة في قلبها

ذات وهج

زوى وجهه

وانزوى

واحتجب.

عبد العليم إذا مات

ينهض أعداؤه في الكمائن، يأتون من غيبه

كان يحصي المذلات.

أعداؤه ثلثة:

رجل غامض في الجريدة،

والعسكري،

وهذا الغراب الذي فوق ناصية البيت،

بقال حارته،

بائع اللحم،  
والعابر المتلفت،  
وابن المؤجر في أول الشهر،  
ثم المؤجر في كل رشفة ماء،  
وذو الراحة المستطيلة،  
والجار،  
والمخبر العسلي،  
وهذا المدير الخشب.

عبد العليم الذي مات  
منفرداً  
ومديداً

كان يحلم أن سوف يحلم:  
أن نساء...

وأن نهوداً...

وأن مناطق معشبة بالتوقد...  
يحلم أن سوف يحلم:

أن...

وأن...

وتخرج أحلامه في الصباح

وتجلس في الباص

ترسل بعض الدخان هنا أو هنالك

ترتاب من حلم جالس وحده قريبا

ثم تنزل نحو الوظيفة

أو تتمشى هنالك بين الفتارين

تبتاع أو تكتري وهمها

تنثني في الأزقة

ناشدة لفئة شردت

شرفة أفلتت آهة

وإذا فاجأته امرأة بين أحلامه

امرأة من عقيق ونار

وسارت تضج بكل حنين النساء إلى  
يومه  
كان ينسلُّ في أفقٍ ممعنٍ في الهربِ.

عبد العليم إذا مات  
يجمع كلَّ بنيه الذين سيحلم  
أن سوف يأتون من صلبه  
بعد موتٍ طويلٍ  
كان يجمعهم حول جثمانه  
ويوزع ثروته بينهم:  
كلَّ موتٍ تكدَّس  
أو كلَّ رعبٍ  
وما جمعته يداه من الريبِ  
أوهامه كلها  
والتوجُّسَ  
كومَ الهواجسِ  
ثم يموت كما قد تدرب منذ طفولته  
هكذا

دونما  
ضجةٍ  
أو  
سببٍ.

وعبد العليم عليمٌ بكل أصول الضيافة  
حتى إذا مات  
يحمل قهوته  
يوزعها بيديه  
ويعزِّي المعزين  
ثم يهيئ أكفانه  
ويسير مع النعش  
في أول الصف

يمشي ثقيلَ الصدى  
صامتاً  
ويحوقل  
يذرف أوقاته كلها  
دفقة، دفقة  
ثم من فتحة القبر ينزل  
معتذراً  
أنه يشغل الآخرين بأوهامه  
ويسبب للناس هذا التعب.

## عدن

«على بعد عشرين ألف ظلام وسبع حروب»

بين هجسِ المدارات  
في غرفِ الرعدِ  
تحت الجسورِ  
وفوق الرصيفِ المناوئِ  
خلف عواميد هذا الظلام القديمِ  
رأيناك  
كنتِ تقولين شيئاً  
وكنا نحاول شيئاً  
وكنا نعدُّ الأصابع  
كنا نفتش عن حجرٍ أو بلادٍ  
وانتظرناك  
ها أنتِ تتشجين بأسماء من عرفوكِ  
وصلوا على جمرةٍ  
واستظلوا بشاهدةٍ  
واهدتوا في الرمادِ.  
أنتِ لم تبدأيِ يقظةَ الدمِّ بعدُ

ولم توقدي للأحبة شمس الضلوع  
ولم تهجسي بالمدى المستعاد؟



كنت في اللفح تأتيين لاهثةً  
مصطفاة

وكنت تضيئين

وحدك كنت تضيئين

كنّا نمرُّ - نياماً - عليك

نوقع أحلامنا عند بابك

ثم نمرُّ - غماماً - عليك

نجفُّ إيقاعنا حول صمتك

ثم نمرُّ جنوناً

فنكتب بحراً على راحتك

نعدُّ السواتر رمليةً

ونعوذ بعينيك من عشرة

تصطفي حبة القلب

كيف تقولين أسماء مَنْ طامنوك وداروا ظلامك؟

كيف تدلين شوك المنافي عليهم؟

وكيف تقودين قاتلهم نحوهم؟



وتعودين

من كل موتٍ تعودين

تياهةً

مشتهاهةً

تشبين في كل منعطفٍ داكنٍ

ثم تنفلتين رياحاً

رياحين تجهش بالصحو

أنت المدمّاة  
 ضاحكة الجرح تأتي  
 في غسق الكائنات  
 ومجروحة اللحم في النار  
 موطوءة بالنعاس  
 وموؤودة في الدم المستغيث  
 ارتقبنا هبوبك من جهة تستميت  
 ومن مستحيل يموت  
 وكنا تركناك مثخنة الروح  
 في شارع يابس  
 وانحدرنا إلى قمة في التخوم  
 وانكفأنا على رمح غربتنا المستديم



كنت تبكين  
 وحدك تبكين  
 كنت تقولين حشد جنونك  
 تصغين:  
 هل باح بالخيل هذا المدى؟  
 وردة ما تجيش الرياح به  
 أم صدى؟



وانتظرنالك ثانية  
 تحت نافذة  
 أشرعتها احتشاداتنا  
 ذات شمس  
 على بُعد عشرين ألف ظلام  
 وسبع حروب  
 رأيك  
 ما كنت وحدك



حولك سربٌ من الشهداءِ  
 نسَمِّي بأسمائهم وقتنا المفتدى  
 ثم جنّناكِ  
 أنتِ الأليفةُ كالمطرِ الموسميِّ  
 القريبة مثل سماءِ القرنفلِ  
 تنتشرين هنا  
 نجمةً للسواحلِ  
 بحرًا توثبُ  
 مقهى تهبُّ عليه اللغاتُ  
 شوارعَ حافلةً  
 بالتلكؤ بين الحروبِ  
 وأشرعةً ما اهتدتْ أبداً  
 ثمّ تنهمرين على شجرِ الروحِ  
 ضاحكةَ الجرحِ  
 تيّاهةً  
 مشتهاةً  
 ومثخنةً بالندى.

### على بعد ذئب

كلنا عابرٌ في القصيدة  
 لكننا لا نقيم بها،  
 ونقيم القيامات فيها  
 نشاورُ أحجارها أو نساير أشجارها أو نحاورها  
 أو نسير حفاةً على الجمر بين الكناياتِ  
 نهمسُ  
 أنّ كمائن أعشابها قطرةً من مجازِ  
 و أنّ السياسةَ بيتُ القصيدِ.

كلنا عابرٌ في البياضِ

تؤلفُ مجداً،  
و نطفح موتاً،  
و ندعو القصيدة أن تحتفي بالبعيد

كلنا عابراً في القصيدة  
نسأل عن قربنا  
من مشانقٍ مجدولةٍ من حبال السياسة  
أو من خيوط الوعيد

كلنا عابراً قريهم  
فالغزاة هنا،  
كلهم داخل،  
و البداوة فينا،  
فمن جمرتين  
نقيم الممالك مملكةً إثر أخرى،  
وننشرها في حقول البروق و بين الجبال قلاعاً  
ونرضع من ذئبة  
ثم نهوي إلى قصعةٍ من ثريد.

كلنا عابراً قريهم  
لا نراهم  
و لكنهم من سماء ملونة  
يبدوون الحكاية  
أو يبدوون على بعد ذئب  
يبلل أيامنا بالجنود.

كلنا عابراً  
حيث لا ظل يبقى  
إذا أيقن الساقطون على مائنا  
أنهم يرشفون الثمالة من حدسنا  
يسرقون من الغيم زهو الرعود.

كلنا حجرٌ يرتضي

أن يكون الفتى  
أو فتىً لبيته حجراً  
أو فتىً حجرٌ لبيته في صعودٍ .

كلنا في الصبا آيةً،  
جعدٌ هنديةً،  
رنةٌ تتراقص من وقعها ساقٌ جاريةٍ  
كأنَّ بخلخالها جنُّ أسئلةٍ،  
و كأنَّ بإيقاعها دندنات الحشود

كلنا في المرايا  
عبور الوعول إلى هاجسٍ  
من نساءٍ وليلٍ مديدٍ .

كلنا عابرٌ في رصيفٍ سيعدو  
وثمة ما سوف نتركه  
ها هنا أو هنالك  
من أزل الكلمات و من خيلها،  
من فوارسٍ ترفعُ أسيافها للطواحينِ  
أو تقتل الغولَ في غفلة السردي،  
أو تسرد الغولَ في برهةٍ للشروذ .

كلنا سوف يعرفُ أن القصيدة  
تبدأُ منا و تبدأُ فينا  
و ترسلُ في أولِ العشقِ سهمَ الصدود .

كلنا سوف يسألُ:  
كيف تقودُ القصيدةُ هذا الذي لا يُقادُ  
وكيف تسوس قطعَ البداهةِ  
كيف تروّض جيشَ الحذاقةِ،  
كيف تهددهم في المهود .

كلنا عابرٌ  
والغزاة سيأتون،

من ثغرةٍ سوف يأتون،  
تهوي سيولهمو من أعالي الخرافة،  
لكننا  
سوف نجمع ما سوف يطفو هنالك من

جثث

ثم نجثو نللم ما سوف يبقى  
على صفحة السيل :  
بعض حنين،  
ودمعاً قديماً  
وشياً من القلب  
نعصره ثم نفرده ثم ننشره في الهواءِ  
ونتركه يابساً  
كلنا عابراً في القصيدةِ  
من غيبها  
لا نعود.